علم الاجتماع
في الأزمنة المضطربة

Sociology
In Troublesome Times

Ostoja Barašin

ترجمة: د. منى الجراري

جامعة ابن طفيل

المغرب

mouna.jirari78@gmail.com

علم الاجتماع
في الأزمنة المضطربة[1]

Ostoja Barašin
ترجمة: د. منى الجراري

ملخّص:

يجوز القول إن قلة قليلة من المعارف استعصت دهرا طويلا على التحديد المفهومي، والإطار الموضوعي الذي يلقى قبولا عاما. لقد أفضى تعدد مضامين علم الاجتماع إلى حال أمسى فيه كل مصنف أو كتاب تقريبا ذا طابع متمايز، بإطار تحديدي متنوع لموضوعه. وفي كل هذه الحقب ومساعي تعريف علم الاجتماع، تكشفت عملية كدح مضنية لعلم الاجتماع في سبيل هويته العلمية الخاصة؛ وتظهر اليوم جليا في كثير من تحليلات حال علم الاجتماع وآفاقه علامات الريبة والاضطراب فضلا عن التقصير. يُعزى هذا الموقف إلى أن الكثيرين خارج هذا الحقل المعرفي لا يفقهون علم الاجتماع بجدية، ولا يولونه الأهمية التي يستحقها، ويتفاقم هذا الإشكال حين نأخذ في الحسبان أن هذه الشكوك قد تسربت إلى صفوف علماء الاجتماع أنفسهم. إنّ الشك المتنامي في الذات يضرّ بعلم الاجتماع ضررا أشدّ من شكوك أولئك الذين لا يمتهنون هذه المهنة.

الكلمات المفاتيح: علم الاجتماع، الوظيفية، الخيال السوسيولوجي.

ABSTRACT:

It can be freely said that there are only a few disciplines that have escaped so long the conceptual definition and the subject framework that would be generally accepted. The multiplicity of contents of sociology has led to a state in which almost every textbook or book, of different character distinctiveness, has a diverse determining framework of its subject. In all these periods and sociology definition quests, a tedious seeking process of sociology for its own scientific identity has evolved. Nowadays, many analyses of state and perspective of sociology show visible signs of distrust, insecurity, as well as underachievement. This situation is due to the fact that many, outside this discipline, do not understand sociology seriously and do not attribute a merited significance to it. This problem becomes even more dramatic when one takes into account the fact that these doubts have snuck into the order of sociologists themselves. Ever growing disbelief in itself harms sociology much more than the disbelief of those who are not in this profession.

Keywords: Sociology, Functionalism, Sociological Imagination.

1 -Barašin, O. (2019). Sociology in troublesome times. Defendology Centre Defendology, 2019 | No. 43-44, pp : 9-27 : t.ly/0wWhO.

علم الاجتماع في الأزمنة المضطربة ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

علم الاجتماع في الأزمنة المضطربة ـــــــ

يعتقد دانيلو ماركوفيتش (Danilo Ž. Marković) أن "علم الاجتماع العام هو العلم النظري الأكثر اكتمالا للمجتمع البشري كواقع فريد يحدد خصوصية الظواهر الاجتماعية وعلاقاتها في الهيكل والواقع الاجتماعي، ويكشف القوانين السوسيولوجية حول هيكل وتطور الظواهر الاجتماعية والمجتمعات الضيقة والهيكلية والعالمية" (Marković, 1999, p. 50). ومنذ البداية أثبت علم الاجتماع نفسه بلا شك كتخصص خاص؛ مؤسسا موضوعه وكذلك طريقة دراسته. "في الأصل لم يكن علم الاجتماع مجرد مقاربة جديدة لدراسة المجتمع، بل كان الاكتشاف الشامل لظواهر "المجتمع" على هذا النحو" (Berger-Kellner, 1991, p. 31). تشير وظيفة ميرتون (Merton) الكامنة والظاهرة إلى ضرورة التمييز بين المفاهيم التي تؤكد أن الإسقاط الظاهر للواقع الاجتماعي ليس كاملا ولا يمثل القصة بأكملها، مما يعني ضمنا الحاجة إلى دراسة البعد الكامن وغير المرئي. وهذا يعني أساسا أن العالم ليس كما يبدو؛ ولهذا السبب فإن شوشنيتش (Đ. Šušnjić) على حق عندما يقول: "يتكون عالمنا مما يرى وما لا يرى: المرئي وغير المرئي فقط يشكلان الواقع. جزء ضئيل فقط مما هو حقيقي مرئي" (Šušnjić, 1999, p. 18). وبالنسبة لرايت ميلز (Charles Wright Mills) بغض النظر عما هو صحيح عندما يتعلق الأمر بتخصصات مثل العلوم السياسية والاقتصاد والتاريخ والأنثروبولوجيا، "من الواضح أنه في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أصبح علم الاجتماع أو على الأقل ما يعرف بهذا الاسم مركز التفكير في العلوم الاجتماعية. وأصبح علم الاجتماع أيضا مركز الاهتمام بالأساليب العلمية، وفي علم الاجتماع تتم مواجهة الاهتمام الأكثر بذخا في 'النظرية العامة'. في الواقع يتم استثمار وفرة من العمل الفكري في تطوير التقاليد السوسيولوجية" (Mills 1998, p. 26).

عندما يفكر في دور رجل الأعمال يقول ميلز إنه يجب أن يكون مترجما وأن التمييز بين وصف وتفسير العلاقات الاجتماعية يجب أن يتميز، لأنه يعتقد أن علم الاجتماع هو في المقام الأول علم تجريبي، وأن مجال بحثه يقتصر بالضرورة على مجتمعات تاريخية معينة. واعتبر أن عالم الاجتماع لا يجب أن يكتفي بوصف الحالة الراهنة للظاهرة فحسب، بل يجب عليه العودة إلى التاريخ ليرى الظاهرة في تطورها. متبعا التقاليد السوسيولوجية الأوروبية الكلاسيكية وفي المقام الأول ماكس فيبر (Max Weber)، كافح ميلز للارتقاء فوق وجهة نظر الإحصاءات لتغطية القضايا على نطاق أوسع وأعمق للتعرف عليها بشكل مباشر أكثر، واكتساب خبرته الخاصة والتفكير والاستنتاج منها بشكل مستقل عن الإحصاءات وارتباطاتها. وربما يكون من المعقول افتراض أن علم الاجتماع سيتقدم طالما أن اهتمامه الرئيسي وليس الحصري هو نظرية متوسطة المستوى، وسيتراجع إذا كان اهتمامه موجها في المقام الأول نحو تطوير أنظمة سوسيولوجية كلية. "إن منظّر علم الاجتماع الذي كرس نفسه حصريا لدراسة النظام الكلي بتجريداته العظيمة يخاطر بأن يكون باطن عقله عاريا وغير مريح مثل الأثاث الحديث" (Merton, 1979, p. 56). تظهر العديد من تحليلات حالة وآفاق علم الاجتماع اليوم علامات واضحة على عدم الثقة وانعدام الأمن والتقصير؛ ويعزى هذا الوضع إلى حقيقة أن الكثيرين خارج هذا التخصص لا يفهمون علم الاجتماع بجدية ولا يعزون إليه أهمية مستحقة، وتصبح هذه المشكلة أكثر دراماتيكية عندما يأخذ المرء في الاعتبار حقيقة أن هذه الشكوك قد وصلت أيضا إلى صفوف علماء الاجتماع أنفسهم. إن الشك المتزايد في حد ذاته يضر بعلم الاجتماع أكثر بكثير من شكوك أولئك الذين لا ينتمون إلى هذه المهنة.

علم الاجتماع في الأزمنة المضطربة ـــــــ

تركت الثورة الصناعية بصمة لا تمحى، وتأكيدا على تأثير حاسم على فكر القرن التاسع عشر، ففي جميع مجالات الإبداع الروحي أظهرت الثورة الصناعية قوتها وشرعيتها باعتبارها إنجليزية نموذجية كما كانت الثورة السياسية لعام 1789 فرنسية نموذجية، ومع ذلك فإن آثار الثورة الصناعية لن تتجاوز فرنسا ولا ألمانيا .يشير نيزبت إلى أن وضع القوة العاملة وتحول الملكية والمدينة الصناعية والتكنولوجيا ونظام المصانع أصبحت أهم جوانب الثورة الصناعية التي ستحدد ظهور القضايا والتفكير السوسيولوجي، وستؤثر مفاهيم علم الاجتماع هذه التي تمّ إنشاؤها في ظل هذه الظروف تأثيرا حاسما على المفكرين البارزين في علم الاجتماع في ذلك الوقت مثل كارل ماركس وماكس فيبر. يصبح وضع الطبقة العاملة هو الموضوع المهيمن في العديد من المناقشات السوسيولوجية من وجهة نظر أخلاقية وتحليلية؛ فالنظام الجديد ألغى تقريبا طبقة صغار المزارعين، ويشير نيزبت ويضيف كيف يمكن ملاحظة أنه من طرف إلى آخر في إنجلترا تنهار الآن بشكل دائم المنازل التي يسكنها صغار المزارعين وعائلاتهم السعيدة. وفي كل مكان يمكننا أن نرى كيف يتم تدمير العلاقة التقليدية التي توفر الأمن وكيف يصبح الحرفيون والفلاحون "الأيدي" تابعين لأسياد النسيج.

ساد الشعور بين الناس بأنهم بينما كانوا يعيشون على أساس العلاقة بين السيد والإنسان كان لكل فرد مكانه وكان الجميع أحرارا، فتم إنشاء حالة من السادة والعبيد.

يتميز مفهوم الحداثة هذا بمجموعة من الأفكار والممارسات المستمدة من الظروف الفكرية الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. إنه على وجه التحديد ولادة شيء جديد (اجتماعي وإنساني) عبّر عنه هيغل (Hegel) في مقدمة "ظواهرية الروح" باستخدام هذه الكلمات: "على أي حال ليس من الصعب أن نرى أن عصرنا هو زمن ولادة وانتقال إلى فترة جديدة. لقد قطع الروح عالم البقاء والتمثيل الحالي وهو على وشك إغراقه في الماضي والبدء في العمل على تحوله" (Hegel, 2000, p. 9) يحدث هذا التحول على عدة مستويات وهي تحدد الخصائص الأساسية للحداثة: على المستوى الاقتصادي نموّ موسمي مرتفع في الإنتاج والاستهلاك؛ وفي المجال السياسي مشاركة الرأي العام أي التمثيل الديمقراطي للشعوب في تحديد واختيار البدائل السياسية؛ وعلى المستوى الثقافي انتشار المعايير والقيم العلمانية والعقلانية؛ وفي الواقع الاجتماعي حرية حركة أو حرية شخصية غير مقيدة فيما يتعلق بالتنقل الجغرافي والاجتماعي والسياسي؛ وعلى مستوى الفردية: زيادة القدرات الإنتاجية الفردية والاستقلال الشخصي والميل إلى التعاون المتبادل، إلخ. بتلخيص قائمة مستويات الحداثة يمكن الاستنتاج بأنها تتجلى كعملية علمنة وديمقراطية وعقلنة وتصنيع وتحضر وتفرد. من المهم التأكيد على أن هذه العملية مفهومة بشكل قاطع على أنها تقدم، على وجه التحديد بمعنى التقدم الخطي الموروث من فلسفة التنوير. إن مفهوم الأيديولوجية ذاته بعناصر النقد والهدف والعمل حديث بشكل أساسي، لكن الأيديولوجيات الحديثة افترضت أن الكائنات البشرية وحدها لا تستطيع تحقيق تغيير اجتماعي هادف وبناء، ولكنْ يمكن تحقيقه من خلال الأساليب العقلانية للتنظيم السياسي واستخدام الدولة كآلية

علم الاجتماع في الأزمنة المضطربة ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

علم الاجتماع في الأزمنة المضطربة ـــــــ

لشراء سلة دنيا من السلع والخدمات؛ واليوم يعتبر الفقر حالة من الأمور عندما تكون الفرص الأساسية لحياة كريمة مفقودة. ومن المسلم به أن الفقر يتجلى في مجموعة متنوعة من الطرق، بما في ذلك نقص الدخل والموارد اللازمة لضمان وجود مستدام:

- الجوع وسوء التغذية وسوء الصحة
- وصول محدود أو معدوم إلى التعليم والخدمات الأساسية الأخرى
- زيادة الوفيات بما في ذلك الوفاة بسبب مرض
- التشرد وظروف السكن غير اللائقة
- البيئة غير المؤكدة والتمييز الاجتماعي والعزلة.

يعدّ الاستبعاد من صنع القرار والحياة المدنية والاجتماعية والثقافية للمجتمع أيضا من الخصائص الأساسية لإنكار حقوق الإنسان. إن تعدد أبعاد الفقر كظاهرة يجعل من الممكن التفكير فيه كحالة تتميز بحرمان دائم أو مزمن من الموارد والقدرات وإمكانيات الاختيار والأمن والسلطة اللازمة لمستوى المعيشة الضروري وتحقيق الحقوق المدنية والاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية الأخرى.

الحرب الدائمة والصراعات السياسية هي الأسباب الرئيسية للفقر المستمر والاستبعاد الاجتماعي من الاتجاهات الاجتماعية وعدم المساواة في البوسنة والهرسك.

5- خاتمة:

في نهاية هذه المناقشة قد يكون من الأبسط استخدام تفكير ميرتون بأن الطريق نحو المخططات العامة الفعالة في علم الاجتماع سيصبح مسدودا إذا حاول كل عالم اجتماع كاريزمي كما كان من قبل في علم الاجتماع، تطوير نظامه النظري العام الخاص به. "إن استمرار هذه الممارسة لا يمكن أن يساهم إلا في بلقنة علم الاجتماع، حيث تدار كل إمارة من خلال نظامها النظري. وعلينا نحن علماء الاجتماع أن نسعى جاهدين من أجل نظرية سوسيولوجية شاملة تدريجيا، بدلا من تطويرها من رأس رجل واحد تقوم بتوحيد نظريات متوسطة الحجم تدريجيا والتي تصبح بعد ذلك حالات خاصة من الصيغ العامة" (Merton 1979, p. 56-57).

الفقر. وتُعبر عتبة الفقر عن قيمة النفقات التي تقل عنها الأسرة لكي تُعتبر فقيرة في المجتمع الذي تعيش فيه. ووفقا لتعريف الأمم المتحدة، يُعتبر الفقراء أشخاصا محرومين من نمط حياتهم وراحتهم وكرامتهم، التي تُعتبر طبيعية في المجتمع الذي يعيشون فيه. والفقر، بالإضافة إلى الدخل غير الكافي لتلبية احتياجات الحياة، يعني عدم القدرة على التوظيف، وظروف السكن غير المناسبة، وعدم كفاية الوصول إلى الحماية الاجتماعية والصحة والتعليم والخدمات المجتمعية. وفي المفهوم الأوسع، يمكن أن يعني الفقر عدم القدرة على ممارسة الحق في بيئة صحية وثروة طبيعية، وفي المقام الأول في المياه النظيفة والهواء. يُقاس الفقر باستمرار بالمعايير المتغيرة لمجتمع معين وبيئته المباشرة ووفقا لهذه المعايير، يُقسم الفقر إلى فقر أو فقر مطلق، فقر نسبي، فقر مدقع، وفقر جديد. وهناك العديد من أسباب الفقر، فبالإضافة إلى التخلف الاقتصادي، غالبا ما تكون هناك حالات مثل الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية والتلوث البيئي والصدمات السياسية والمالية داخل الاقتصادات الوطنية والعالمية، فضلا عن التدمير الناجم عن الحروب، إلخ.

علم الاجتماع في الأزمنة المضطربة ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

علم الاجتماع في الأزمنة المضطربة ـــــــ